زيتون

سياسية ثقافية نصف شهرية مستقلة | السنة الثالثة | العدد 112 | 1 | آب 2015
www.facebook.com/ZaitonMagazine - zaiton.mag@gmail.com - www.zaitonmag.com

# أحلام مؤجلة في السجن الحدودي التركي

من تداعيات الانتخابات التركية الأخيرة

مقاتلو جيش الفتح على أبواب الساحل السوري

بين البيئة والتعليم والنظام .. الثورة السورية الاجتماعية هل يمكن أن تتحقق؟

ثقافة الموت.. وموت الثقافة

الخروج من حفرة «الدراما»..زكريا تامر

الفنان المهاجر.. عمر حمدي يطمح للعالمية

## الطفلة سارة عكلة

استشهدت في مجزرة سراقب يوم الإربعاء مع 15 أخرين بقصف للطيران الحربي

# من تداعيات الانتخابات التركية الأخيرة

**مروان محمد**

انقسم الرأي العام السوري، كما انقسم الرأي العام التركي والعالمي حول نتائج الانتخابات التركية الأخيرة. فبعد فوز لثلاث دورات متتالية لحزب العدالة والتنمية في الانتخابات التشريعية، كانت تؤمن له التفرد المطلق بتشكيل الحكومة، مع ما يترتب على ذلك من هامش مريح في رسم السياسات التركية العامة الداخلية والخارجية على السواء، بغض النظر عن تقييمها سلبا أم ايجابا. جاءت النتائج الأخيرة لتحجم من هذه القوة للحزب وللحكومة وللرئيس أردوغان نفسه، ولتفتح المجال أمام عدة سيناريوهات أغلبها يُقلق السوريين، كم يُقلق المواطن التركي، إلى جانب توجس المراقب الإقليمي والدولي. ويأتي السبب في أن الوضع السوري بالعموم واللاجئ السوري في تركيا على وجه الخصوص، هو ضمن معادلة التنافس السياسية بين القوى التركية الأساسية موضوعيا.

وما نراه منذ بعض الوقت في تحركات الرئيس أردوغان وحكومة حزب العدالة والتنمية، هو محاولة للخروج من نتائج هذه الانتخابات المخيبة عبر القفز نحو الحدث الخارجي. والوضع السوري هو المرجح لأن يكون الأنسب في هذه المرحلة على الصعيد الاقليمي. لذا يصبح قلق السوري على مستقبله في هذا البلد مشروعا، وتوجد مؤشرات جدية على ذلك.

شاهدنا مع الجميع التحركات التي جرت في الآونة الأخيرة، والتي تخللتها اجتماعات سرية وعلنية لقيادات أمنية وعسكرية وسياسية تركية، رافقتها تعزيزات عسكرية وحشود على الحدود مع سوريا، وتحديدا مقابل جرابلس وتل ابيض السوريتين. كما لم تغب التصريحات النارية المهددة بعدم السماح بقيام دولة كردية. مع تسريبات صحفية «حرييت» مقصودة من الحكومة التركية، بلسان «المصادر الأمنية العسكرية» عن نيتها اجتياز الحدود السورية لإقامة منطقة عازلة من مدينة جرابلس إلى اعزاز الملاصقتين للحدود التركية.

ومعلوم أن تركيا تعتبر الممر الواصل بين عفرين وكوباني/عين العرب خطا أحمرا تركيا، يمس الامن القومي التركي، ممنوع تجاوزه من قبل قوات الحماية الكردية.

جاءت هذه التحركات المترافقة مع هذه التصريحات الحادة كنوع من اختبار رد فعل الشريك الأطلسي، والأمريكي أساسا، حول نية التدخل العسكري في الأراضي السورية لإقامة منطقة عازلة. لكن مع رفض رئيس الأركان التركي التورط في مثل هكذا مغامرة، وحجته أنها لا تستند إلى مواثيق الشرعية الدولية، ناهيكم عن رد الفعل الإيراني، إلى جانب موقف الشريك الأطلسي الذي لم ينظر إلى تلك الحشود بأكثر من رسالة تهديد معنوية للأكراد بعدم السماح بكردستان ثانية، ليبقى الأمر ضمن هذه الحدود لبضعة أيام.

(الملاحظ أن الائتلاف السوري المعارض لم يصدر عنه أي موقف يوضح أبعاد الحشود العسكرية التركية، وأهداف التحرك الأساسية على المهجر واللاجئ السوري داخل سوريا وفي تركيا ذاتها. لاحقا أيّد العمليات العسكرية التركية).

لكن مع تعثر تشكيل الحكومة مع أيا من القوى المنافسة، الذي يرفض بعضها-حزب الشعب الجمهوري- الاتاتوركي العلماني، الاشتراك مع العدالة والتنمية الإسلامي في حكومة ائتلافية واحدة، واشتراطات الآخرين الحد من صلاحيات رئيس الجمهورية، جعل الرئيس أردوغان يقوم بخطوته الخطرة على جبهتين، اعلان الحرب على تنظيم «داعش» و «ب.ك.ك» علّها تعيد له الرأي العام الداخلي الذي فقده في النتائج الأخيرة.

لكن كما يعلم الجميع، هذه لعبة خطرة يلعبها قياديو حزب العدالة والتنمية وسلاح ذو حدّين. وستشمل عواقبها كل الدور التركي في المنطقة، كما ستؤثر على عملية التنمية الوطنية التي تحققت في عهده، ضمنا السياحة، ناهيكم عن الجانب الأهم في هذه الحركة التي تحمل جانب من المغامرة بالمستقبل السياسي لأردوغان شخصيا، إضافة لمستقبل حزبه، في حال تضرر السلم الأهلي التركي، لا سمح اللّه.

في رأي المتواضع إن جذر التحرك التركي الأخير يكمن في الفاتورة المستحقة لتسوية القضية الكردية داخليا، بعد فوز حزب الشعوب الديمقراطي الكردي، والذي له علاقة قوية بأوجلان وبحزبه-مما يعني تجرّع كأس سمّ سياسي-؛ وليزيد الأمر سوءا وتتضاعف قوة الضربة على الرأس، أتت انتصارات حزب الاتحاد الديمقراطي (أيضا الوثيق الصلة بحزب العمال الكردستاني التركي، أو الفرع السوري كما يردد البعض) على طول حدوده الجنوبية الشرقية، الذي يحاول خلق منطقة نفوذ في الشمال السوري وعلى طول الحدود مع تركيا. وقد عبر أردوغان صراحة عن رفضه لأي مشروع من هذا القبيل عقب تحرير تل أبيض من قوات «داعش» :

« لن نسمح أبدا بتأسيس دولة في شمال سوريا وجنوب بلادنا، سنواصل كفاحنا بهذا الشأن مهما كان الثمن» .

ومن جانب آخر، ربما يكمن الدافع

الأساسي في الاعتقاد بإمكانية استعادة الإمساك بالحكم والتفرد به من جانب حزب أردوغان، فيصبح الضرب على الوتر القومي الداخلي ضد ال ب ك ك «الانفصالي» والتهديد الخارجي (من طموح الأكراد السوريين في انشاء دولة ملاصقة، ومن خطر الإرهاب) عامل شدّ وجذب للجمهور التركي، واحراج للقوى السياسية المنافسة، رغم خطورة هذه السياسة التحريضية على صعيد المجتمع التركي، وعودة شبح الحرب الأهلية وشبح الانقلابات العسكرية، وعدم الاستقرار.

هذا سيناريو مقلق للسوريين المتواجدين على الأراضي التركية، لجهة دخولهم في معادلة التنافس هذه.

ليزيد الطين بلّة، باتت تتنامى أجواء غير مريحة وغير مرحبة بالسوريين في بعض الأوساط التركية، بل وصل الأمر ببعض الأتراك إلى حدّ رفض إقامة اللاجئ السوري في بعض الأماكن السكنية رفضا مطلقا، رغم أن لا قانون يقر بذلك، مع وجود نظرة استعلائية، واستغلالية إلى درجة غير مسبوقة -زيادة الأسعار ثلاث أضعاف وأكثر عن المعدل الوسطي!؟- في مجال السكن والآجارات. ناهيكم عن تعقد الدخول والخروج، واغلاق المعابر والتقييد في حرية الحركة للسوريين من وإلى تركيا الخ.

(طبعا احتمال أن يتم ترحيل قسم من اللاجئين السوريين إلى المنطقة العازلة المزمع انشاؤها يوضع في ميزان القلق -أيا تكن الحجة- وايكال أمر هذه المنطقة إلى قوى إسلامية بعينها، محسوبة على الحكومة التركية الحالية، يزيد من قلق اللاجئ السوري. فتجربة حصار الجوع والركوع لا زالت قائمة وموجعة).

الحرب أُعلنت، وبدأت، لكن كيف ومتى ستنتهي -لم يعد الأمر بيد تركيا وحدها- وأين ستصل تداعياتها بالنسبة للقضية السورية، وبالنسبة للاجئين السوريين، هذا ما يجب الانتظار ومراقبة سير الاحداث حتى تتبين طبيعتها وحدودها وآثارها، ليس على السوريين فحسب، بل على كل المنطقة، التي دخلت مرحلة جديدة بدخول تركيا الحرب.

(مع التأكيد على الدافعين الجوهريين للتحرك: الوضع السياسي الداخلي، وازدياد وزن الأكراد، داخليا وخارجيا؛ يبقى لدي تساؤل، هل يمكن ادراج التحرك التركي هذا، في سياق التداعيات المتوقعة للاتفاق النووي الإيراني الأمريكي، كعمل دفاعي استباقي لتثبيت الدور الإقليمي التركي، في وجه الدور الايراني؟!)..

بصراحة، لا أملك الجواب الآن..

# مجزرة يرتكبها الطيران الحربي في مدينة سراقب

في مساء يوم الإربعاء 2015/7/29 أغارت طائرات الأسد الحربية على مدينة سراقب لتستهدف سوقها الرئيسي وأحد الأحياء بأربع صواريخ فراغية أوقعت ستة عشرة شهيدا من بينهم خمسة أطفال وثلاث نساء ثم إلتحق بهم شهيدين آخرين متأثران بجراحهما نتيجة الغارة.

سراقب دفعت خلال السنوات الخمس الماضية خيرة شبابها وأطفالها قرابين للحرية التي تتطلع اليها بسقوط النظام الظالم

يقول مدير مركز الدفاع المدني في سراقب أسامة باريش: سارة أحمد العكلة التي لم يزد عمرها عن سنتين لم تتخل عن أمها أو عن ابن خالها ولا حتى عن إبن خالتها.

يذكر أن عدد شهداء سراقب تجاوز 500 شهيد لبلدة عدد سكانها 20000 ألفا وكانت قد التحقت بالثورة بتاريخ 2015/3/25

أسماء الشهداء نقلا عن صفحة سراقب اليوم:

1- أحمد منير صباغ
2 - محمد منير سباغ
3 - محمد أحمد سباغ
4 - أحمد محمد سباغ
5 - رمضان علي الحسين
6 - الطفلة فاطمة اسامة الحسين
7 - الطفلة سارة احمد عكلة
8 - الطفل عبد الرحمن يوسف حلاق
9 - الطفل خالد وليد حاج اسماعيل
10 - الطفل احمد حذيفة باريش
11- غازي محمد عباس
12- بيان احمد باريش
13 - منار حسين امارة
14- رابعة قاسم
+15 16 مجهولي الهوية

# مقاتلو جيش الفتح على أبواب الساحل السوري

محمد علاء

وضع جيش الفتح المؤلف من (جبهة النصرة - أحرار الشام - صقور الشام - جند الأقصى - فيلق الشام - لواء الحق في ريف إدلب - جيش السنة - أجناد الشام وفصائل مقاتلة أخرى) قوات النظام والمليشيات الموالية لها، في موقف لا تحسد عليه مجدداً، بعدما شن هجوماً كبيراً على تمركزات لقوات النظام والمليشيات الموالية لها، وذلك لتحرير ما تبقى من معاقل النظام في ريف ادلب الغربي وسهل الغاب بريف حماة الشمالي

يتحدث أحمد الأحمد أحد إعلامي جيش الفتح و فيلق الشام عن مجريات المعركة:

بدأت المعركة بالتمهيد بالأسلحة الثقيلة من مدافع ال 57 وصواريخ الغراد ومدافع ثقيلة محلية الصنع من جهنم ومدمر والفيل، واستمر التمهيد لأكثر من ثلاث ساعات متواصلة على كافة القرى والتلال التي تتمركز بها قوات النظام على طريق ادلب – اللاذقية، تلاها مباشرة عملية اقتحام لكل من تل خطاب وهو قطاع لجبهة النصرة، وتل أعور،قطاع لجند الأقصى، وقرية سلة الزهور قطاع لأجناد الشام، أما تل غزال وتل حكمة كان قطاع لفيلق الشام، ومن الجهة الغربية لهذه التلال قرى الكفيرة والمنشرة و العلاويين كانت من قطاعات أحرار الشام وغيرها من الفصائل الأخرى المشاركة بالعملية.

وبدأ الاقتحام من قبل جميع الفصائل عند ساعة الصفر المحددة التمهيد والاشتباكات العنيفة بدأت تتهاوى التلال والقرى بشكل سريع وتتالت الانهيارات في صفوف قوات النظام، ليسيطر جيش الفتح على مساحة ثلاثين كيلو متر مربع وأكثر من 23 حاجز وتلة وقرية في ريف ادلب الغربي ومنها تحرير قرية تل الأعور وتل الشيخ الياس جنوب جسر الشغور وتل واسط في سهل الغاب وأيضاً حواجز جنزارة وتل المنطار وتلة خطاب والمشيرفة وتل حمكة وقرية سلة الزهور وفريكة وقرية الكفير ومحطة سد زيزيون الحرارية وقرية الزيارة و التنمية وبذلك التقت تلك الفصائل على ثلاثة محاور إستراتيجية وهي محور ادلب وحماه واللاذقية وأصبحت القرى الموالية للنظام أمامهم مباشرة ابتداء من قرية جورين و وصولاً لمعاقل النظام في القرداحة.

وبسيطرة جيش الفتح على تلتي الأعور والشيخ الياس قرب جسر الشغور، يكون قد قطع نصف الطريق باتجاه قرية فريكة الإستراتيجية التي تعد نقطة ربط بين ثلاث محافظات هي إدلب وحماه واللاذقية.

وبحسب محللين فإن سيطرة جيش الفتح على كامل ريف مدينة جسر الشغور تضع فصائل المعارضة على بوابة معقل النظام في مدينة اللاذقية إذ أن الريف الغربي للمدينة يضم قرى علوية باتت بين فكي كماشة لمقاتلي الجيش الحر في ريف اللاذقية وجبل الأكراد قرب حدود تركيا شمالاً ومقاتلي جيش الفتح وفصائل أخرى في ريفي إدلب شمالاً وحماة وسط سورية.

وبحسب نشطاء فإن سبب الانهيارات السريعة في صفوف قوات النظام بتلك المناطق، هو أنها باتت تعتمد بشكل أساسي على تجنيد الشبان بشكل إجباري وسوقهم إلى مناطق القتال بعد تلقيهم تدريبات سريعة لا تتجاوز الشهر الواحد، كما أن معظمهم من السنة الذين يوضعون في الخطوط الأمامية بحيث يبقى المقاتلون العلويون في الخطوط الخلفية بعيدا عن الخطر وذلك عن طريق المحسوبيات والواسطة المتفشية منذ القدم في صفوف قوات النظام.

في جانب الآخر إمتلاك قوات الجيش الحر المشارك مع جيش الفتح على أسلحة نوعية تمثلت بصاروخ التاو الذي حرم النظام من استخدام دباباته وجعلت من دباباته أهدافا سهلة له كما بينت ذلك العديد من الفيديوهات التي نشرت وتظهر احتراق مدرعات النظام بفعل صاروخ التاو.

و باءت كل محاولات النظام ودفاعه الوطني لوقف تقدم «جيش الفتح» بالفشل، خصوصاً في إدلب وريفها، مما أدى لاستقدام مقاتلين أجانب ليقاتلوا عوضًا عن جنود النظام، عدا عن مشاركة مئات من مقاتلي ميليشيا «حزب اللّه» في معارك عديدة وأبرزها معارك « قمة النبي يونس». حيث وثق نشطاء تسجيلات عبر أجهزة اللاسلكي، مشادات كلامية بين عناصر «حزب اللّه» وأفراد جيش النظام. كما شهدت العمليات العسكرية التي حصلت مؤخراً في جبل التركمان بريف اللاذقية مقتل العديد من الأفغان في تلة عثمان وتلتي الكنديسية وتلة جورة الماء، التي عادت خلال الساعات الماضية إلى سيطرة «جيش الفتح».

وقال أحد قادة جيش الفتح أن من أهم أسباب النصر في هذه المعركة هو التنسيق والتخطيط بين الفصائل المشاركة والتصميم من قبلهم على تحريرها اذ أن قوات النظام قاتلت بشراسة مختلفة عن المعارك التي سبقتها في ادلب نظرا لقربها من القرى التي تعتبر خزان النظام البشري في الساحل السوري الا أن اصرار جيش الفتح وارادته كانت حاسمة في تحرير سريع.

وعلى أبواب جبال الساحل السوري يقف مقاتلو جيش الفتح والفصائل الأخرى اليوم بعد عمل طويل بدأ من معارك مدينة ادلب وانتهاءا بمعركة ريف جسر الشغور وسهل الغاب، لكن ثمة تساؤل يطرح بين الأوساط الشعبية عن عجز تلك القوة الكبيرة من اقتحام بلدتي كفريا والفوعة الشيعيتين واللتان تعدان معقلا وخزانا لمليشيات النظام الطائفية في محافظة ادلب، وخصوصاً بعد فشل محاولات العديد من الفصائل ومن بينها جبهة النصرة وجند الأقصى مؤخراً في اقتحام هاتين البلدتين على الرغم من قصفهما بعشرات الصواريخ والقذائف محلية الصنع تزامناً مع محاولات النظام وميلشياته الشيعية اقتحام مدينة الزبداني بريف دمشق،

فقد كان لافتا خفوت الحماس الشعبي لهذا التحرير وذلك بسبب تطلع الاهالي في المناطق المحررة الى قريتي الفوعة وكفريا بعد ان كانت عدة فصائل قد توعدت بتحريرهما نصرة للزبداني.

وتخوف البعض الأخر من تكرار سيناريو بلدتي نبل والزهراء الشيعتين بريف حلب الشمالي، الأمر الذي أرجعه البعض الأخر الى ضغط كبير من الدول الإقليمية على قوات المعارضة لمنعها من التقدم الى المناطق التي يوجد فيها أقليات خوفاً من وقوع مجازر بحق تلك الأقليات من قبل الجيش الحر وجيش الفتح الذي أكد أكثر من مرة عدم تعرضه لمن لم تتلوث يديه بدماء السوريين.

# النصرة تعتقل نديم الحسن قائد الفرقة 30 وتهاجم الفرقة فجرا

تحرير زيتون

شنت جبهة النصرة فجر اليوم هجوماً على مقرات وتمركزات لمقاتلي الفرقة 30 جيش حر في قرية المالكية قرب مدينة اعزاز بريف حلب الشمالي، ودارت بين الطرفين اشتباكات عنيفة، تدخلت على إثرها طائرات التحالف واستهدفت مقرات للنصرة في المنطقة،

وذكر الناشط زكريا حلبي بأن الإشتباكات دامت لأكثر من خمس ساعات، استخدمت فيها النصرة الأسلحة الثقيلة والمتوسطة، فيما استخدمت الفرقة 30 الأسلحة الخفيفة والمتوسطة.

وأضاف الحلبي بأن المعارك بين الطرفين نشبت على خلفية اختطاف قائد الفرقة 30 مع 7 أخرين من عناصرها المدربة على يد القوات الأمريكية، يوم أمس في مدينة اعزاز، حيث اتهمت الفرقة، جبهة النصرة بضلوعها في العملية، وأدى قصف طائرات التحالف الى مقتل سبعة من النصرة، كما أسفرت الاشتباكات عن مقتل 7 من مقاتلي الفرقة 30 وعدد أخر من مقاتلي جيش الثوار التابع للجيش الحر الذي قام بمؤازرة مقاتلي الفرقة.

وكانت جبهة النصرة قد أقدمت على اعتقال قائد الفرقة العقيد المنشق نديم الحسن وقيادي أخر و ستة من مرافقيهم، أثناء خروجهم من أحد الاجتماعات لمناقشة الأعمال العسكرية ضد تنظيم الدولة بريف حلب الشمالي و الشمالي الشرقي، وذلك عند مفرق سجو قرب مدينة اعزاز بريف حلب الشمالي، لتنفي النصرة علمها عن العقيد ومرافقيه وتنفي أنها قامت باعتقالهم، وذلك رداً على بيان صدر من قيادة الفرقة 30 طالبت فيه النصرة بالإفراج الفوري والغير مشروط عن قائد الفرقة، وطالبت الفصائل الأخرى بالوقوف أمام مسؤولياتها.

يذكر أن مقاتلي الفرقة 30 قد عبروا من معبر باب السلامة الحدودي مع تركيا في الشهر الماضي قادمين من تركيا وبلغ عدد المقاتلين 54 مقاتلاً، تم تزويدهم بـ 30 عربة دفع رباعي مزودة برشاشات متوسطة وأسلحة خفيفة وذخائر وأجهزة اتصال متطورة، وعادوا الى سوريا بعد قضاء 74 يوماً بالأراضي التركية تلقوا خلالها تدريبات على أيدي خبراء عسكريين أمريكان وأتراك، وتمركزت تلك القوة في قرية المالكية، بقيادة العقيد المنشق التركماني نديم الحسن والعقيد المنشق شاهر مصطفى،

وكان من المقرر أن تقوم بعمليات عسكرية بمشاركة عدة فصائل أخرى وبدعم جوي من طائرات التحالف ضد تنظيم الدولة، على غرار الدعم الذي تتلقاه القوات الكردية بريف حلب الشرقي وريف الرقة الشمالي ضد التنظيم.

إلا أن جبهة النصرة عادت واعترفت بوجود العناصر لديها وأصدرت بيانا جاء فيه:

«تبنّت أمريكا منذ ما يقارب العامين توجّهًا بزرع أذرع لها في الداخل السوري، فقام المجاهدون بفضل اللّه بقطع تلك الأذرع وتفويت الفرصة عليها، فأسقط في يد أمريكا، وشرعت إلى استقدام أصناف من قوات ما أسموها بـ»المعارضة المعتدلة « تندرج فيهم المعايير الأمريكية ليخضعوا لبرامج تدريب وتأهيل برعاية وكالة الإستخبارات الأمريكيةCIA»».

وجاء أيضا في البيان: «»قامت الجبهة باعتقال عدد من جنود تلك الفرقة، وثبت لدى الجبهة حقيقة مشروعهم؛ من كونهم وكلاء لتمرير مشاريع ومصالح أمريكا في المنطقة وقتالهم لـ «التنظيمات الإرهابية» على حد وصفهم، وظهر هذا جليًا من خلال التعاون والتنسيق الذي شهده الجميع بين «الفرقة 30" وطيران التحالف والذي تدخل سريعًا للمؤازرة وقصف مواقع جبهة النصرة بأكثر من عشرة صواريخ خلفت عددًا من الشهداء والجرحى في صفوفنا.»»

ووجه البيان تحذيراً من جبهة النصرة للفرقة 30 قائلاً:: «»إننا إذ نحذّر جنود تلك الفرقة من المضي في المشروع الأمريكي فلن نرضى ولن يرضى أهل السنة في الشام أن تقدّم تضحياتهم على طبق من ذهب للجانب الأمريكي»».

من جهتها نفت وزارة الدفاع الأمريكية خطف جبهة النصرة في سوريا لمقاتلين شاركوا في برنامجها لتدريب المقاتلين السوريين ونفت الكومندر أليسا سميث المتحدثة باسم البنتاغون أن يكون أي من المخطوفين من بين المقاتلين الذين شاركوا في برنامج وزارة الدفاع لإعدادهم لمقاتلة تنظيم الدولة في سوريا.

وقالت سميث: «لن نكشف أسماء المجموعات المشاركة في برنامج التدريب والتجهيز السوري، ولكن يمكنني أن أؤكد أن ليس هناك عناصر من القوة السورية الجديدة مخطوفون أو محتجزون».

وعبارة «القوة السورية الجديدة» تستخدمها واشنطن للدلالة على المقاتلين السوريين، الذين تم التحقق منهم لاستبعاد أي عناصر متطرفة من بينهم وتلقوا دورة تدريب بقيادة عسكريين أمريكيين، ويعتقد أن المجموعة الأولى التي تضم 54 من المقاتلين المتدربين قد عبرت من تركيا إلى سوريا ويذكر أن كلفة برنامج التدريب 500 مليون دولار.

# أحلام مؤجلة في السجن الحدودي التركي

حسين جرود

طلب العسكري جمع الأوساخ من الساحة، وبعد أن أنهى أحد المعتقلين ملأ كيس كبير أمسك العسكري الكيس وأفرغه على الأرض. فجن جنون بشار – شاب في العشرينيات من ريف إدلب، حيث قال: «ذكرني ذلك بيوم كنت أمشي فيه في حديقة عامة تركيَّة، وهناك شاب يوزع الإعلانات فأعطى إعلاناً لرجل سوري فتسلى بتمزيقه وهو يتمشى، ثم نثره قطعا صغيرة في الشارع النظيف». أمضى بشار ليلته في السجن الحدودي، قرب قرية اليمضية الحدودية المجاورة لمنطقة كسب. لم يستطع النوم على الأرض المليئة ببقايا الاسمنت والحجارة، وفوجئ في الليل بعصفور ميت تحت رأسه. عندما دخلوا ليلاً لم يكن من الممكن تمييز المكان النظيف من الوسخ، ومن يظفر بغطاء ينتقل لعالم آخر من الأمان فذلك نادر ولمن سبق. السجن عبارة عن ساحة مسيجة يوجد بطرفها مبنى لا يتم استعماله، حيث ينام السجناء في العراء. يقع السجن في قمة الجبل على ارتفاع آلاف الامتار عن سطح البحر. ينام فيه يومياً بضع مئات من السوريين الذين فشلوا بالدخول إلى تركيا.

رحلة اوروبا تتوقف عدة مرات على الحدود بالنسبة لخالد، الذي قال: « أصعب مرحلة في رحلة أوروبا هي دخول تركيا»، والعمل الذي ينتظر يمان في قونية ضاع أيضاً: «دخلت في فترة العيد من معبر باب الهوى، وعندما عدت منعتني حواجز الجيش الحر من الوصول للمعبر، وقال لي أحد العساكر عندما نظر إلى هويتي: (إدلب مدينة!! وما بتجي غير بالمناسبات)، فقلت له: أنا مهندس وعندي عمل. فقال: (مهندس كمان.. ارجع فيد لبلدك).» وفي اتصال مع مهرب في معبر باب الهوى قال أن مشكلته هي حواجز المعارضة التي تمنع الناس أحياناً من الوصول، ولكنه يستطيع تهريب بعض الناس من المعبر التركي يومياً. لا تعمل ورقة الزيارة إلا في المعبر الذي خرجت منه لذلك صعد يمان الجبل مع خمسين شخصاً برفقة مهرب، وبعد مسير ساعتين وصلوا لقرية تركية، فظن أنه أصبح في الأمان ليقوم الجندرمة بمداهمة القرية واعتقالهم. قال حسن الذي كان مع يمان في رحلته: «عندما سمعت صوت السيارات اختبأت في النبع وبقيت دقيقتين في المياه، لكن اختباء أشخاص بالقرب مني تسبب باكتشاف أمري». مضيفاً: «لقد سقطت تركيا من عيني بعد هذا فكيف يخرجونني من قرية تركية، لم يكن يتبعنا الجندرمة إلى القرى فيما سبق».

«الحدود سيئة منذ يومين، في فترة العيد كان الدخول سهلاً، الآن بدأ التشديد بعد مقتل أحد الضباط الأتراك». هذا الحديث جرى الاربعاء 22تموز مع أبو يوسف – مهرب سوري في جبل التركمان – قرية اليضمية متابعاً: «الجندرمة تتبع السوريون إلى القرى ويعيدونهم، وتمت إعادة عائلتين بعد وصولهم إلى أنطاكيا، هناك حواجز طيارة للجندرمة على الطرقات ويتم إنزال المسافرين من السيارات».

التقينا برجل خمسيني من جبل التركمان اعتقل هنا للمرة الثانية على التوالي: «هذه منطقتنا وكنا ننزل بسهولة إلى تركيا لكن في هذين اليومين هناك كثافة في الحرس على الشريط». الغريب أن العم يريد الدخول بلا مهرب أيضاً في هذا الوقت العصيب، فيتم اعتقاله بعد بضع خطوات بسيطة، حيث قال: «أصبحت طرق التهريب طويلة جدا تتطلب السير عدة كيلو مترات في الجبال، لقد توقف قلب رجل مسن في إحدى رحلات التهريب منذ أيام حيث كان طريق الصعود صعباً جداً». مضيفاً: «لقد عدت في زيارة العيد، ولم أستطع العودة من باب الهوى بعد بقائي هناك لأيام بسبب الازدحام». فيما تساءل آخر: «هل كان قانون زيارة العيد فخاً». وفي اتصال مع أحد الأشخاص الذين عادوا من المعبر بعد العيد: «لقد تعبت كثيراً في العودة، وبقيت واقفاً ثلاثة أيام في المعبر حتى استطعت المرور».

بعد الليلة الباردة بين الغيوم، تبدأ شمس تموز اللاهبة مداعبة الوجوه باكراً. تنظر لأطراف السياج فتجد عائلات تضع بطانية على السياج وبطانية أخرى بين أعلى السياج والأرض بشكل مثلث لتصنع خيمة، كان هذا المنظر مثيراً للأسى فها قد اعتاد السوريون على التشرد وصار بإمكانهم التأقلم بسهولة في أي مكان. فيما يستظل الشباب بالمبنى الصغير ويتبعون الظل كيفما تحرك. قال أحد الشباب: «التغريبة الفلسطينية»، فرد آخر: «سوريا أخطر دولة في العالم الآن لا داعي للمقارنات».

في هذا السجن الوضع مختلف، فانضباط العسكر كبير، حسب آراء المعتقلين، وقال أحدهم: «أحسن منا بس نحنا شيبناهن قرفوا سما السوريين» وقال آخر: «لولا حاجز اللغة لجلسنا مع العساكر جلسة الأصدقاء»، وعندما يوجد شخص يجيد اللغة التركية كان يقوم بدور المترجم. ويظهر التعامل الودي الزائد للعسكر مع التركمان وذلك يعود أيضاً للغة، فيما وضع أحد المعتقلين الجامعيين اللوم في ذلك على الحكومة التركية التي لا تقيم دورات لغة مجانية للاجئين. لم يتم سرقة او اهانة أي شخص وعند التفتيش تركوا حتى الأغراض الممنوعة غير المؤذية. في الصباح الباكر تم أخذ بعض الشباب لتفريغ سيارة محملة بقطع حديدية، وقبل اطلاق سراح المعتقلين بساعة تم ايقاف شخص مشاغب في الشمس تحت انظار الحرس. ممنوع ادخال الطعام لكن يقوم الجندرمة بتوزيع الخبز على الاطفال. في هذا المكان لم يتم ضرب أي مسافر كما يفعل الجندرمة عند إمساك شخص ما على الحدود في أماكن أخرى، فقد عاد بعض المسافرين مغسلين بجروحهم وعاد آخرون بأقدام مكسورة من أماكن أخرى. وردد أحد المسافرين: «نحنا بالجنة»، مشيراً إلى حسن المعاملة، حيث يقضي مسافرون فترة الايقاف في أماكن أخرى في ظروف أسوء من هذه بكثير. عند عودتنا إلى الطرف السوري شاهدنا ذات الأشخاص ما زالوا يفترشون العراء، وهم يفكرون بدخول تركيا ويتقلبون بين الخوف والأمل، وقال أحدهم: «سأسجن مرة ومرتين وعشرة لكن في النهاية سأستطيع المرور». فيما ينتقل آخرون بين معبر وآخر ومنطقة وأخرى ويفاجئون باختلاف أسعار التهريب فهناك 2000 ل.س و5000 ل.س و15000 ل.س و100$ و225 $ و400$ دون أن يعرفوا الصادق من الكاذب.

# بين البيئة والتعليم والنظام الثورة السورية الاجتماعية

## هل يمكن أن تتحقق؟

حازم حسون

عقد « مهند » الشاب في بداية الثلاثينات ، الأمل على سنتين، عمل فيهما على مشروع مفصّل للاستفادة من طاقة الرياح في منطقته ، المشروع يوفر الكثير من الطاقة الكهربائية «النظيفة» والمتوفرة بكثرة في تلك المنطقة. لكن تم رفض المشروع عشرات المرات ومن جهات عديدة تقدم إليها «مهند».

الشاب حاول ترتيب معظم الجهات التي رفضت له مشروعه وتعاملت معه كشيء سخيف ، وابتدأ بعائلته ، والديه ، إخوته ، أقاربه ، اعتبروا ألّا شيئاً سيقدمه «مهند» إلى العالم وبلده سوريا سيكون ذا أهمية ، والأهمية الوحيدة التي يمكن أن يُستفاد من المشروع هو توفير ورق «لف السندويش».

وأتى في ترتيب «مهند» بعد العائلة ، المجتمع من حوله ، واعتبر أن أكثر ما كان محبطاً هو النظرة إليه كشخص «مضيع للوقت» ،وبالتالي كان ممكناً أن يساهم في جني القليل من المال بعد تخرجه بدل العمل على «شيء» ليس فيه أي معنى، طالما أن الجهات الحكومية سترفض حكماً أي مشروع ليس معه واسطة.

وبعدها في قائمة الترتيب أتى النظام الحكومي ككل والبيروقراطية التي تعني عدم القدرة على التطور أو التفكير فيه. واصطدم بعراقيل حكومية ليس لها بداية ، وتعرض أيضاً لمساءلات أمنية عديدة لم تفضي إلا «لشنشطته» وتعبه، وتفكيره في ألّا يكون قد ارتكب فعلاً إجرامياً ما.

لكنه عندما قرر أن يسافر خارج بلده بحكم الحرب لاحظ أمراً مهماً للغاية لم يكن يلاحظه من قبل، ألا وهو ازدياد عدد أصحاب القرار المستبدين في بلده رغم أن معظمهم لا يمتلك قراراً حتى على مستواه الشخصي.

### النظام أسس مرحلة تعليمية تمييزية

لا يختلف شخصان في سوريا على أن النظام الاستبدادي القائم منذ أربعين عاماً و أكثر لم يكن جاهزاً لاستيعاب أي أفكار أو اقتراحات أو مشاريع تهدف إلى تطوير البلد عبر أبنائه ، لا بل كان يسعى إلى تهميشها وتعريض صاحبها للكثير من العقبات حتى ييأس ويهاجر بأفكاره إلى عالم آخر يستطيع الاستفادة منها.

والأمثلة كثيرة عن حالات نفي عقول ، واعتقال «أصحاب الرأي» كجزء من رفضه لأي شخص مخالف أو مجدد.

إلا أن الكارثة التي حققها النظام بسياسته الإقصائية والاستبدادية، هي تربية المجتمع أيضاً على هذه السياسة، وجعله يرفض الاختلاف أو الخروج عن المألوف مهما كان ، ومع مرور الزمن انتشر وباء «العصا والجزرة» كروتين قاتل ، الابتعاد عنه أو التمايز يعني الكفر بإله الرتابة والنظام الجديد.

«مع زوال النظام، المجتمع أيضاً بحاجة إلى تربية» لا ينفك مفكرون سوريون ثوريون كثر يرددون هذه العبارة نحو ثورة اجتماعية أيضاً كجزء من الثورة عموماً.

التربية بدورها تحتاج إلى قرار ، والقرار ينبغي أن يكون ملزماً، فاعتماد سياسة تعليمية مثلاً كالتالي اعتمدها النظام هو تكريس لمبادئه وصولاً إلى مجتمع مكرر لا يختلف عن سابقه.

في أحد كتب القراءة للصفوف الإبتدائية في سوريا، كتب بما معناه على لسان أحمد الطفل «قدم عمي لزيارتنا بينما كان والداي خارج المنزل، فقمت أنا باستقباله، بينما ذهبت رباب إلى المطبخ لتعد الشاي».

الأدوار منذ السنوات الدراسية الأولى مرتبة بين الذكر والأنثى «الذكر في الواجهة والأنثى في المطبخ» ، هو ما يعزز الإحساس بالتميز لدى الذكر منذ الصغر وبالتالي الاستبداد بالانثى أياً كانت. والسؤال هو «كيف حال التمييز على أساس الجنس في سوريا الآن؟».

أمثلة كثيرة وعديدة على ما تقدمه مناهجنا إلى الطالب، تضع أسئلة أكثر عن مدى جديتها ومواجهتها للمواضيع الحساسة التي سيعرفها الطالب أو الطفل آجلاً أم عاجلاً وستبني شخصيته «كمسألة الطائفة مثلاً».

### من الغالب بين كفة المادة وكفة العلم؟

يؤسس الاستبداد والقمع أيضاً إلى مرحلة من التخلف، يصبح معها التميز ليس على مستوى الكفاءات أو الخبرات وإنما على مستوى القرب من المستبد ، وهو ما كان جلياً في سوريا.

الطائفة استخدمت للتقرب من النظام، القمع والقتل استخدم أيضاً للتقرب من النظام والحصول على امتيازات، والمال أيضاً استخدم للتقرب منه. وفي كل الأحوال كان يتم تعزيز مفاهيم سطحية متخلفة على مفاهيم أخرى توفر العدالة والمساواة و سلطة القانون فوق أي اعتبار.

ثم تحول الكثير من أبناء المجتمع السوري للسؤال عن جدوى التعليم مثلاً، إن كان ابن صاحب نفوذٍ ما غير متعلم سيحصل على ما هو أعلى من امتيازات المتعلمين.

ضرورة التعليم أيضاً، إن كان السعي الأساسي في معظم حياة المتعلمين سيكون نحو إيجاد عمل، وتوفير سكن، ثم اللهث وراء لقمة العيش، والموت فجأة دون أن يتم اكتشاف شيء من معاني الحياة الكثيرة.

الصراع في كل مرة بين مادية الحياة و أهمية الوعي والتعليم كان ينتهي بغلبة الجانب المادي، ثم سؤال هؤلاء المتعلمين ، المثقفين الصادقين، ونخب المجتمع الحقيقية، هل سيكون هنالك ثورة ما ستعيد الحياة إلى طريقها الصحيح، وبكل تأكيد الجواب مازال قيد الدراسة.

اللاجئة السورية " نور قصاب " و تفوقها في نتائج البكالوريا "الأبيتور" ، حيث نالت نور العلامة التامة في الامتحان و ذلك في بلدة "شفيدت" بولاية "براندنبورغ" الألمانية بعد وصولها إلى ألمانيا بثلاث سنوات فقط .

# ثقافة الموت.. وموت الثقافة

أسعد شلاش

منذ أن استولى عسكر البعث على السلطة في سورية بطريقة انقلابية وهي الآلية التي كانت متبعة حينها، وخلال فترة هيمنته فيما بعد على الحياة السياسية لم يعمل على إجراء أيّة تحولات إيجابية عميقة تذكر له على بنية المجتمع السوري على أيّ من الصعد، بل على العكس فعلى الصعيد الاقتصادي ّ وهو الأهم نظراً لما يرافقه من تحولات في المستويات الأخرى وتحت شعار (القضاء على الإقطاع) تمّ قطع صيرورة التطوّر الطبيعي ّ والتي كانت تتمثّل في إمكانية تحوّل التشكيلة الاقتصاديّة القائمة على نظام الإقطاع حينها إلى تشكيلة بديلة تحاكي التشكيلة البرجوازيّة الأوربيّة التي كانت قد أنجزت ثورتها الصناعيّة، تمّ قطع هذه الصيرورة لصالح إقطاعيّة الدولة التي رفدتها فئات اجتماعيّة جديدة غالب مكوّناتها من الطبقة الفقيرة، حوت بين صفوفها عدداً ليس قليلاً من الضباط والعسكر فيما يشبه مقولة « مصلحتك بالولاء التام للحزب ومبادئه» وهكذا تمّ تسييد حالة ثقافية واحدية تتماشى مع أهداف السلطة والعسكر، وتمّ عسكرة الثقافة بمعنى خدمتها لأهداف العسكر، الأمر الذي أدّى إلى تهميش الثقافة بصفتها قيمة معرفيّة محايدة فلا حياديّة ثقافيّة في مجتمعات الاستبداد، والكلّ بما فيها الثقافة، سخّرا لخدمة حزب ليس لديه رؤية ثقافيّة منطلقة من ممكنات المنطقة سواء في منطلقاته النظرية أو فيما طرحه من شعارات سياسيّة فيها الكثير من اللبس بمعناه الثقافي ّ وحتّى السياسي ّ، وعليه فقد سادت في المجتمع حالة ثقافيّة أحاديّة ومتحزّبة.

ومع وصول حافظ الأسد إلى السلطة بما ادعاه أنّها حركة تصحيحية، والتي لم تطرح تصحيح أيّ من المفاهيم الثقافيّة والسياسيّة في صلب أهداف ومنطلقات الحزب ترافق ذلك مع تصدير ثقافة الإسلام السياسي ّ المؤمن بالعنف كطريق للوصول إلى السلطة بفضل طفرت البترودولار، وتمّ الصدام على أشدّه بين ثقافتين كلاهما أحاديّة استبداديّة.

ممّا أعطى ذريعة لحافظ الأسد ليدخل البلد بمرحلة قمعيّة سوداء، عنوانها سيطرت الأجهزة الأمنيّة وبشكل محكم على كلّ مناحي الحياة، وأهمّها الثقافة وتسخيرها لخدمة سلطة الاستبداد، والتي لم تعد هنا سلطة حزب بعد أن تمّ إقصاء الحزب بمعناه السياسي ّ وتهميشه لصالح ثقافة اختزاليّة متردّية تماهي بين الوطن والقائد الفرد، وتمّ الأمر الذي استوجب تقليم أظفار الثقافة كقيمة معرفيّة إنسانيّة محايدة ومستقلّة عن السياسة بكلّ أشكالها وذلك بالتطبيق على أيّ مشروع ثقافي ّ محايد.

ولم يكن عهد الوريث أفضل حالاً بالنسبة للمسألة الثقافيّة وعلى سبيل المثال لا الحصر فقد تمّ إصدار قوائم لأسماء الكثير من المثقّفين وعمّمت على المراكز الثقافيّة وذلك لعدم استضافتهم في أيّ من أنشطتها، هذا بالإضافة إلى أنّه كان يتوجّب على المدير والعاملين في أيّ مركز ثقافي ّ أن يكونوا أعضاء في حزب البعث العربي الاشتراكي، وككلّ مجتمعات الاستبداد تمّ وأد وموت الثقافة بمعناها المعرفي ّ لصالح ثقافة استبداديّة قوامها المحسوبيّات والشللية والتزلّف والخضوع لمشيئة السلطة وأجهزتها الأمنيّة ابتداء باتّحاد الكتّاب وشركات الإنتاج التلفزيونيّة ونقابة الفنّانين وما تبقّى من مؤسّسات أخرى والتي من المفترض أن تكون حياديّة وذات استقلاليّة تامّة عن أيّ خطّ سياسي ّ ومع موت الثقافة بمعناها المعرفي ّ المحايد كان من البديهي أن تملأ الفراغ ثقافة استبداد قائمة على تخوين لكلّ مثقّف معارض، ولو بالكلمة وتخويف كلّ مكوّنات المجتمع السوري ّ من بعضها.

ولذلك كان من الطبيعي ّ ومنذ الأيّام الأولى لانطلاق الثورة السوريّة أن يكون العنف هو سيّد الموقف وأن تنفجر ثقافة الموت ولم يكن ذلك مستغرباً من النظام فقتل المعترض هو طبع وتطبّع المستبدّ، ولكن اللافت للنظر أنّ ثقافة الموت كانت هي الثقافة السائدة لدى أغلب كتائب المعارضة المسلّحة حتّى فيما بينها، وحتّى على أشخاص من المدنيين كان يتمّ قتلهم لأتفه الشبهات ودون أيّة محاكمة.

ولم يقتصر فعل القتل والموت على هذا وذاك، بل كان يتمّ القتل أحياناً من قبل عصابات وقطّاع الطرق غايتهم المال وفقط، حتّى ولو كان المبلغ ضئيلاً .

ومات الكثير تحت غاية ثأريّة وشخصية وازداد العنف أكثر ببراميل بارود غايتها القتل وفقط، القتل والانتقام، تسقط على المدن ليلاً ونهاراً بذريعتي وجود مقرّات مع المعرفة التامّة أنه لا حيلة للمدنيين على هذه المقرّات، إن وجدت أصلاً، وجلّ الضحايا مدنيين، بالمقابل قصف على المدنيين من الكتائب المسلّحة بحجة وجود مقرّات للنظام وشبيحته والضحايا جلّهم من المدنيين وكأنّ ثقافة الموت كانت في قمقم وانفجرت وغدت سيّدة الموقف، موت بالقصف موت موت بالقصف بالغازات السامّة وتحت التعذيب، والموت جوعاً وراحت بعض التنظيمات الإرهابيّة تتفنّن في ابتكار طرق جديدة للموت بالحرق أو الغرق بالماء، وبتفجير الرأس وغدت ثقافة الموت عنوان المرحلة وبدأ الناس يعتادونها وأصبحت من طبائع يوميّاتهم، ولم يعد يهمّ أن يدفنوا موتاهم بمراسم تليق بهم وفي كثير من الأحيان لا يجدون إلّا مزقاً من أجسادهم.

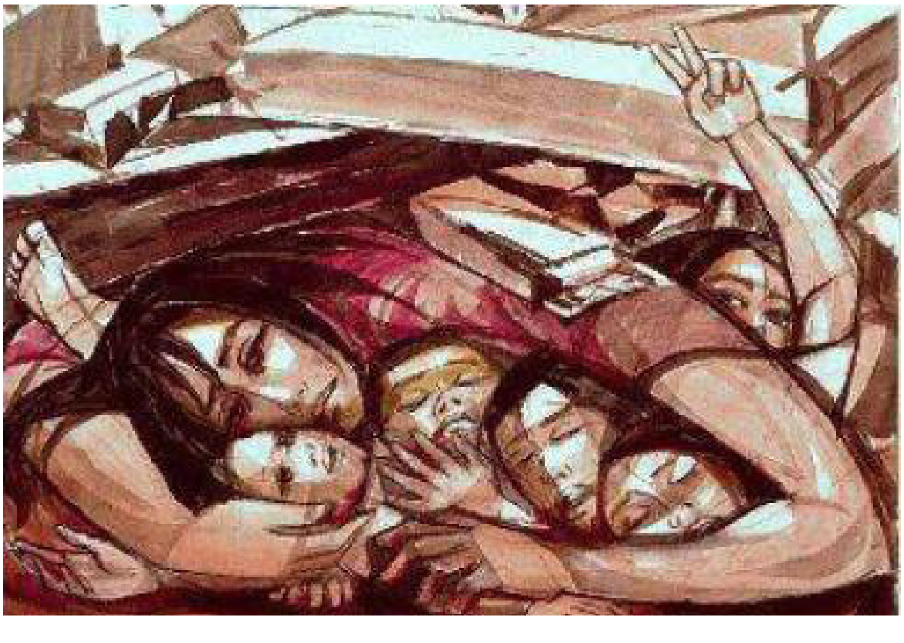

# الخروج من حفرة "الدراما"

## الطاقة الكامنة في "حرائق دمشق"

بشار فستق

أطراف الصراع عند «زكريا تامر»* واضحة، فالسلطة القمعيّة بأشكالها السياسيّة أو الدينيّة أو الجنسيّة طرف، والإنسان الصغير الواقع تحت تأثير هذه السلطة التي تعمل على سحقه هو الطرف الآخر في مجمل قصص «تامر» وإن تغيّرت الألوان؛ من هنا تبرز «الدراما» في مجموعات مثل «دمشق الحرائق»** باعتبارها صراع وتلوّن.

تضعنا قصّة «الليل» في المشهد المسرحيّ فوراً، إذ يتسلل اللصّ وبيده المصباح فنرى غرفة تنام فيها امرأة وطفلها. يفتّش في الأغراض، نكتشف الفقر، يتصعّد الموقف حين ينزعج اللصّ فيسعل وتستيقظ المرأة فيُطبق فمها بكفّ ويستلّ بالأخرى سكيناً.

هنا يبدأ الحوار بجملة يقولها اللص: «إن كنت تريدين أن تموتي فهيّا اصرخي». تجيب المرأة الفزعة بالبكاء، ونصل لذروة دراميّة بتكثيف فريد برع به «تامر» كما في مختلف قصصه، مثل «امرأة وحيدة» من المجموعة عينها، حيث تجلس «عزيزة» قبالة «الشيخ سعيد» والجوّ مليء بالبخور، يسأل الشيخ المرأة: «إذن تريدين أن يرجع إليك زوجك؟» هكذا يلج «تامر» المشكلة ويشعل فتيل «الدراما» منذ اللحظة الأولى في مشهد يصل إلى اغتصاب عزيزة من قبل «الجان» مروراً بسلبها الليرات العشر «ثمناً للبخور» ولإرضاء «الجان اللطاف»!. يرتدّ ذهن المرأة عبر تداعيات إلى صور مفاصل حياتها ليتّصل بخطّ انتهاك جسدها وإنسانيّتها في مجتمع يستولي عليه دِين «الشيخ سعيد» وشرف الفتاة ليلة العرس، في مونتاج سينمائيّ داخل المشهد.

بالعودة إلى اللصّ الذي يتحوّل في قصّة «الليل» إلى رجل مكبوت جنسيّاً، لحظة ترضع الأمّ طفلها لإسكاته، وينسى الخمسمائة ليرة التي أتى لسرقتها، ثمّ يتذكّرها عندما يراجع سبب عدم قدرته على الزواج، ويحاول انتهاز الموقف ليعوّض جسديّاً، فيستلقي بجانبها ويلتصق بها، ينشأ صراع يبدو فيه اللصّ الفقير متعباً، وتتداعى الصور في رأسه: أخته التي تبكي.. أمّه المريضة.. الفتاة التي أحبّها.. والمانع أي: الفقر مرّة أخرى؛ ليتكوّن الشريط الذاتيّ بمونتاج «تامر» مستفيداً من أهمّ منجز للدراما الحديثة، وهو الصراع الداخليّ، الذي يتمثّل بصراع الشخصيّة مع ذاتها، بإضافته إلى التفكير السينمائيّ.

في قصّة «الشجرة الخضراء» من مجموعة «دمشق الحرائق» أيضاً، يضع «تامر» منذ اللحظة الأولى طفلة أمام صخرة، تبكي الطفلة لتنفجر الصخرة عن طفل شريك في لعبة المحاكاة (الجذر العميق للتمثيل)، وفي انتقال مُقترح من الطفلة إلى «لعب» شخصيّة الملكة، نشهد الحرب بلقطات مختزلة عن الهجوم والأسْر، وننتقل إلى شدّاد ثمّ لصّ فقتيل فوردة؛ عبر صورة عالية الكثافة والسرعة الإيقاعيّة. تليه هدأة كنقيض: السماء الزرقاء، الغيوم...، لكن سرعان ما يُكسر الصمت بأصوات الأحذية العسكريّة والسلاح، وفي ذروة دراميّة يشاهد الطفلان إعدام إنسان يكبّل على شجرتهم الخضراء التي اختاروها خلفيّة للعبة المحاكاة، ونفيق من الصدمة الواقعيّة إلى اللعبة، بعودة المشهد إلى طفلين تحوّلا معاً إلى صخرة.

الفنون البصريّة كالمسرح والسينما، تجد طاقة كامنة لا تنضب في أعمال «زكريا تامر» القصصيّة خصوصاً، فيمكن بناء المشهد بدءاً من القصّة، باعتبار الظروف المفترضة والشخصيّة بالتفاهم مع الممثّل ليقوم بالفعل.

ويدوّن النصّ كحوار – إن وجد – من خلال التدريبات المسرحيّة، كمشهد (إتيود). هذه الطريق تحتاج إلى الممثّل المفكّر المبدع، المضادّ للقوالب والنمط.

سينمائيّاً، ربّما، تُخرج قصص «تامر» السيناريو السوريّ من حفر وقع فيها مثل السير الذاتيّة للمخرجين، أو أفلام «البيئة» الشكليّة والكاذبة والخاضعة لـ «توجيهات القيادة الثقافيّة والإعلاميّة». وهنا نأتي إلى «الدراما الرمضانيّة السوريّة» كآفة أصابت المجتمع، يرى الكثيرون أنّها ما تزال تجرّ وراءها القوالب السابقة، رغم أنّ إنتاج بعضها تمّ بحريّة، وكانت نحو ثلاثين عملاً تفاوتت – طبعاً - فيما قدّمته على صعيدي الشكل والمضمون، فبعضها أمسى مجرّد ذكر اسمه مثاراً للسخرية، مثل: «باب الحارة 7»، ولم يعد باستطاعة المتفرّج أن يتابعه، لاستخفاف من وراء العمل بعقل المشاهد تحت مسمّى (دراما بيئيّة شاميّة) بينما يقول بعض من تابعها: إنّها «حجبت سورية وزيّفت دمشق» وهي تمرّر مجموعة سذاجات، أو تبرّر مواقف حسب طلب (توجيهات) القيادة، وهناك متبرّعون يفهمون ما تريده الأجهزة ويفصّلون حكايات على المقاس قبل أن يُطلب منهم ذلك.

لكنّ القرارات الصادرة بتنفيذ هكذا أعمال تشبه الإصرار على استمرار معمل أحذية القطاع العامّ على الإنتاج ورمي ما ينتج في صالات المؤسّسات الاستهلاكيّة طعماً للغبار وترويجاً للفساد.

فمتى سوف ننهض من جديد، ونطفئ حرائق دمشق؟

هامش:

*زكريا تامر أديب سوريّ وصحفيّ وكاتب قصص قصيرة، ولد بدمشق عام 1931، واضطرّ إلى ترك الدراسة عام 1944. بدأ حياته حدّاداً في معمل ثمّ أصبح يكتب القصّة القصيرة والخاطرة الهجائيّة الساخرة منذ عام 1958، والقصّة الموجّهة إلى الأطفال منذ عام 1968. يقيم في بريطانيا منذ عام 1981. ترجمت أعماله إلى العديد من اللغات. من أعماله: النمور في اليوم العاشر (قصص)، دار رياض الريّس للكتب والنشر، الطبعة الرابعة، 2000، بيروت.

**تامر، زكريّا، دمشق الحرائق، رياض الريّس للكتب والنشر، 2009

# الفنّان المهاجر
# عُمر حَمدي يطمح للعالمية

عبد الرزاق كنجو

كان من القلائل القادمين من الجزيرة الشمالية السورية الى العاصمة دمشق, ومن الذين يحلمون بالوقوف بصلابة تشكيلية تميزه عمّن سواه , فاختار مشروعه المتعدّد الحلقات , في لوحات تحت اسم ( مالفا ) ليعطي للمرأة دوراً مهماً وإبراز علاقتها بالرجل وبالمجتمع المحلي , بطريقة متحررة من القيود المعهودة .

انطلق من أرضية قروية متواضعة , خاصة بعد ان رفضت الجهات الأمنية تعيينه كمعلم صف بعد تخرجه من معهد المعلمين , لكنه وقف على أعلى كعوب الأرجل وأثبت شخصه وفنه المتميّز من خلال عمله الدؤوب طيلة النهار , حيث كان يعمل ليلاً في إخراج الصحف والمجلات بالعاصمة, ليتمكن بذلك من الابداع المستمر, ولتتصدر لوحاته جدران أكبر قاعات المعارض الفنيّة في دمشق وباقي المدن السوريّة .

لكنه في لحظة احباط مؤلمة حمل لوحاته تحت إبطه , ورماها في أقرب حاوية للقمامة , أشعل فيها النيران كما أشعل سيجارته منها , وعاد راكبا على سطح الباص الى مدينة الحسكة في رحلة تستغرق اكثر من خمسة عشر ساعة من الزمن .

وعندما رحل خارج القطر وجد الهواء الطلق الذي يناسب رئتيه واللوحة التي تسبح فيها ريشته المتحررة

أمّا عن صفته « العالمية » التي يسعى اليها فاعتقد بأنه لايزال يدور في فلك التجارب الفنيّة المتعدّدة . يأخذ من هنا , ومن هناك, ويدمج بين مسالك المدارس واتجاهاتها ليكوّن لنفسه مدرسة فنية خاصة به – إن جاز التعبير ـ .

لكنه لم يتميز حتى الآن بما يضمن وصوله الى ذلك المقام . ولو عدنا الى

رسوماته الصحفية قبل عشرين سنة لوجدناه يحاول تلمّس الكثير من المدارس والإتجاهات التجريدية البعيدة عن التعبير الذي أراد الوصول اليه .

وبشكل إجمالي نستطيع القول: بأنّ الفنان عمر حمدي فنان (شقّ) طريقه الطويل منطلقاً من درب ضيّق زلق ) لكنه وصل بعدها الى قمم الجبال العالية .

قال مرّةً ـ بغرور محبب ومقبول ـ يصف نفسه : « أنا ببساطة .. واحد من أهمّ الملونّين في هذا العصر .. أنا قادم من سوريّة , وجذوري ممتدّة في الضّوء .. سأكون آخر من يموت .»

لم يكن يعنيَ نفسه فقط , ولكنه ـ كما أعتقِدُ ـ يقصد بلاده السورية او العربية . وكان يريد أن يكرّر ماقاله بعض العظماء من المبدعين العالميين ... لكنه بالحقيقة لم يوفّق بالتعبيرعمّا كان يقصده , مع احترامي وتشوقي له .

اللوحة المتخمرة عنده كما قال عنها الناقد الفني محمود مكي :

أن تكون في الوطن وخارجه في آنٍ معاً ، لتصنعَ عملاً فنياً، له قيمته الحضاريّة ، تحتضن لوحة عمر حمدي الجديدة بشقيها الانطباعي والتجريدي، عالماً ساحراً من الألوان القوية، المنفعلة، والصاخبة، والصارخة بصوتٍ عالٍ ، فالحارّ يتجاور فيها مع البارد، تارة يشرد الأول في جسد الثاني، فيوشيه بإضاءات هادئة، وتارة أخرى، يتحاور اللونان بقوة تثير المتلقي وتستفزه، كأن يُدخِل الأسود على البرتقالي، أو الأبيض على الأسود والأزرق الداكن، أو الأصفر على الأبيض والأسود.. أو تتعارك الألوان الحارة والباردة فوق بياض اللوحة، لتقدم لنا في النهاية، حالة انفعالية مفعمة بالقلق والثورة والتشنج، ما يؤكد أن عمر حمدي يجد في سطح لوحته، متنفساً لما يعتمل داخله من أحاسيس وعواطف وهواجس وإرهاصات كثيرة ومتناقضة، مردّها حياته الشخصية الطافحة بالمعاناة والقلق والتوتر المتعدد الأشكال والأسباب .

بينما يقول عنه مواطنه عنايت عطار :

انه فعلا استطاع اعادة جريان الدم في الانطباعية التي كانت على وشك الزوال - لقد قالها الشاعر الفرنسي جاك بيار وهو يطّلع على اعمال عمر حمدي في مجلد بحوزتي والذي كان الفنان قد اهداني إيّاه

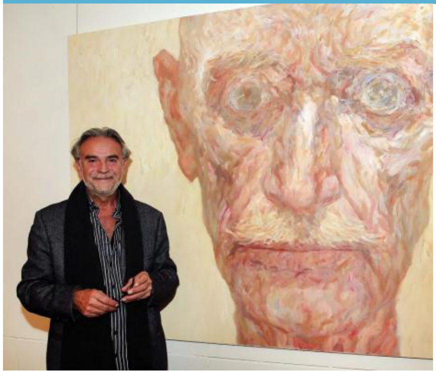

وانا شخصيا كمهتم باللون , بحثا وأداء انه بكل بساطة يحيل الاشياء الى خزف وكريستال .

والجديد الجديد في اعماله هو اضاءة الظلال, بحيث اذا تمعنّا في الالوان الغامقة في اعماله تعطينا انعكاسات متوقّدة كما الالوان الفاتحة ,, انه يحيل الارض الموات الى حدائق غناءة حتى لو افرغ كلّ حزنه فيها - وله الكثير من هذا القبيل - فلابد ان يكون لحزنه توقد الروح .

ولقد أنصفه الزميل أديب مخزوم عندما قال :

إن مرحلة عمر حمدي ــ مالفا الأولى ــ هي الأهم ، لارتباطها بعناصر بيئته ، ولأنها تركت تأثيرات واضحة على العديد من فناني الحسكة ، وهي تؤكد موهبته النادرة في الرسم والتلوين معاً ، أما أعماله التي قدمها في بلاد الاغتراب فلم تكن الا صدى لما هو مكرس ومطروح ومألوف في عواصم الفن الكبرى ، وبالتالي فهي تطرح اشكاليات والتباسات لا تنتهي ، ومن ناحية أخرى نجيب محفوظ كاتب عالمي لأن العالم عرف الرواية العربية من خلال أعماله ، وعمر الشريف عالمي لأن أسمه كان يوضع، في أفيشات الأفلام الأجنبية ، بجانب اسماء كبار نجوم هوليوود وبنفس الحجم ....

... أما عن وصف عمر حمدي بالعالمي فيطرح اشكالية كبرى لم يتم التوافق عليها ، وإنّ وجود لوحاته في متاحف النمسا وغيرها لا يكفي، لانه أصبح يحمل الجنسية ـ الثانية ـ النمساوية واعماله معروضة بجانب أعمال الفنانين النمساويين المعاصرين ، وهؤلاء ليسوا عالميين ، لأنهم تابعين لمدرسة باريس ، وليسوا متبوعين ..

عمر حمدي فنان كبير وفذ ولكنه ليس عالمياً، ولا يوجد فنان تشكيلي سوري عالمي حتى اليوم . ولازلنا ننتظر .

# الأسد أعلن التقسيم.. إردوغان أعلن الحرب!

لم يكن في وسع بشار الأسد أن يقف في قصر الشعب ليعلن أخيرًا عن قيام «دولة الساحل»، أي دولة العلويين التي بدأ التخطيط لها منذ عام 1970، بعد وصول والده حافظ الأسد إلى السلطة، لكنه لم يتردد في إعلان وعده الخادع بالنصر مرة جديدة، ليمهّد ضمنًا للاعتراف بقيام الدولة العلوية، بما يدخل سوريا المرحلة الأخيرة من عملية التقسيم!

قبل الدخول في خلفيات كلام الأسد ومدلولاته، من الضروري أن نتوقف أمام الانقلاب المفاجئ في موقف رجب طيب إردوغان من تنظيم داعش وإعلانه الحرب عليه، بعدما كان يحظى منه بنوع من الرعاية غير المباشرة، عبر التغاضي عن تسلل مقاتليه عبر الحدود التركية، وحتى عبر شراء النفط منه، حيث كان جسر من الشاحنات ينقله إلى الداخل التركي.

ومن الضروري قراءة خطاب الأسد في ضوء نيران القذائف التي بدأت المقاتلات التركية تلقيها على مواقع «داعش»، وعلى مواقع «حزب العمال الكردستاني» أيضًا، فالحسابات التركية تتخوف أولاً من أن يشكّل قيام «دولة الساحل» مقدمة لترجمة الطموحات الكردية في الحصول على دولتهم، وخصوصًا بعد البسالة التي أظهروها في قتالهم «داعش» في كوباني وغيرها، وثانيًا من أن يثبّت «داعش» سيطرته على مناطق حساسة محاذية للحدود التركية التي تمتد مع سوريا مسافة 900 كيلومتر، وخصوصًا أن هناك أكثر من 300 تركي يقاتلون في صفوفه، وأن له خلايا نائمة داخل تركيا.

أعود إلى خطاب الأسد الذي يشكّل إعلانًا ضمنيًا صريحًا لتبرير القبول بالتقسيم، وخصوصًا في قوله إن «الانسحاب من مناطق إنما هو من أجل القدرة على الاحتفاظ بمناطق أخرى أكثر أهمية»؛ فمن البديهي أن تكون المناطق العلوية في الساحل السوري هي «الأكثر أهمية» عنده، لكنه عندما يعترف بأن جيشه يواجه نقصًا في عدده وطاقته البشرية وأنه «لا يستطيع المحاربة على كل الجبهات حتى لا يخسر المزيد من الأراضي، ونحن نتخلى عن مناطق من أجل مناطق مهمة نتمسك بها»، فذلك يعني صراحة اعترافًا بالهزيمة وبالتخلي عن المحافظات السورية في الجنوب والشمال والشرق.

صحيح أنه كرر وعده الواهم بالنصر، وهو ما يذكّرنا بأنه في العام الماضي كان قد أعلن أن النصر النهائي سيكون في نهاية 2014، لكنه عندما يتحدث عن الإحباط وعن «إننا في مرحلة مصيرية لا حلول وسطا فيها»، ويبرر الانسحابات إلى المناطق الأكثر أهمية لمصلحة الاحتفاظ بـ«دولة الساحل»، ثم عندما يرفض تكرارًا التسوية السلمية، التي يقال إن دي ميستورا والروس يعملون عليها بهدف عقد مؤتمر «جنيف - 3»، فإن ذلك يؤكّد تمامًا أن كلامه هو إعلان واضح لبدء المرحلة الأخيرة من عملية التقسيم.

ليس خافيًا أن إشادته بالدعم الإيراني وبدور «حزب اللّه» في القتال إلى جانب النظام، يمكن أن تشكّل مؤشرًا على أن طهران التي تيقّنت أخيرًا من أنها لن تتمكن من الاحتفاظ بنفوذها في سوريا الذي كلّفها الكثير منذ 35 عامًا، باتت الآن متمسكة بـ«دولة الساحل» كجائزة ترضية، وخصوصًا أنها تبقى لها وظائف استراتيجية، لأنها تشكل قاعدة الجسر لـ«الكوريدور» أو الممر الذي يربطها بمناطق نفوذ «حزب اللّه» في بعلبك والهرمل عبر الزبداني والقلمون، حيث دارت وتدور معارك عنيفة للسيطرة على التلال!

المثير أن الأسد في رفضه الحل السياسي بدا كمن يوجّه صفعة إلى حماته الروس، الذين يعملون مع الوفد الدولي ودي ميستورا على التحضير لمؤتمر «جنيف - 3» لترتيب آليات متفق عليها لعملية الانتقال السياسي، التي سبق أن اصطدمت دائمًا بعقدة مصير الأسد، وفي هذا السياق تقول تقارير دبلوماسية عليا، إنه عندما استدعى فلاديمير بوتين وليد المعلم إلى موسكو قبل أسابيع وضغط مطالبًا بأن يتعاون النظام السوري مع حكومات في الشرق الأوسط في إطار الحرب على «داعش»، وبعد رفض دمشق التي اعتبرت أن الأمر أشبه بالمعجزات، عاد السيناريو الروسي القائل إن موسكو لا تمانع في حل ينهي سلطة الأسد، ويبقي على هياكل النظام، وهو ما لا يناسب الأسد ولا داعميه الإيرانيين!

باختصار: بعد أربعة أعوام ونيّف من القتال الذي دمر سوريا، ها هو الأسد يقر بالنقص البشري في جيشه، ويعترف بالانسحاب من مناطق إلى مناطق أكثر أهمية يريد الاحتفاظ بها، ويتمسك برفضه الدائم لأي حل سياسي، فماذا يبقى إذن غير قيام دولة العلويين التي ستكون تحت السيطرة الإيرانية؟

رياح التقسيم لم تكن تحتاج إلى خطاب الأسد لكي تثير الهواجس الكردية والداعشية دفعة واحدة في أنقرة، ولا كانت عملية التفجير الإرهابي في سروج على الحدود التركية هي التي دفعت إردوغان إلى إعلان الحرب على «داعش»، الذي طالما حظي منه بالتغاضي وأحيانا بالرعاية، فمن المعروف أن تركيا شهدت أربع عمليات إرهابية في السابق ولم يتحرك إردوغان، لكن الوقائع تغيّرت، ورياح التقسيم في سوريا يمكن أن تعصف بطموحات الأكراد، ثم إن كيانًا داعشيًا ثابتًا على الحدود يمكن أن يضع تركيا على بركان!

لهذا لم يكن مفاجئًا اكتشاف أن إردوغان توصل إلى اتفاق موقّع مع أميركا في 7 من الشهر الماضي، أي قبل خطاب الأسد بعشرة أيام تقريبًا، على إقامة منطقة آمنة خالية من «داعش» داخل الأراضي السورية تمتد من جرابلس إلى مارع بطول 90 كيلومترًا وعمق 50 كيلومترًا، ولا كان من المفاجئ أن تبدأ المقاتلات التركية القصف والإغارة على مواقع «داعش»، لكن مع تركيز أعنف وأقوى على مواقع «حزب العمال الكردستاني» و«حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي»، فالهدف الأول عند إردوغان هو الأكراد، أما قصف «داعش» فيأتي في سياق صفقة واضحة مع أميركا فحواها: رأس «داعش» مقابل رأس الأكراد!

ومن الواضح أن إردوغان يصيب عصافير عدة بحجر هذه الصفقة الواحدة: فهي تعوّم وضعه الداخلي بعد خسارته في الانتخابات، وتصرف النظر إلى ما سيصوّره انتصارًا له، أي إقامة المنطقة الآمنة داخل سوريا التي طالما طالب بها، وهي ستسقط عنه تهم التعامل مع «داعش»، فها هو يقصف مواقعه بما يظهره أقوى من التحالف الدولي، وهي تعطيه الغطاء لقصف مواقع الأكراد، وهي تصحح علاقاته مع دول الحلف الأطلسي.

لكنها ستكون بالتأكيد صفقة متعبة، لأنها قرار بخوض حربين؛ واحدة ضد الأكراد، ولن تكون نزهة، والثانية ضد «داعش» المعشعشة خلاياه النائمة داخل تركيا!

الشرق الأوسط

راجح الخوري

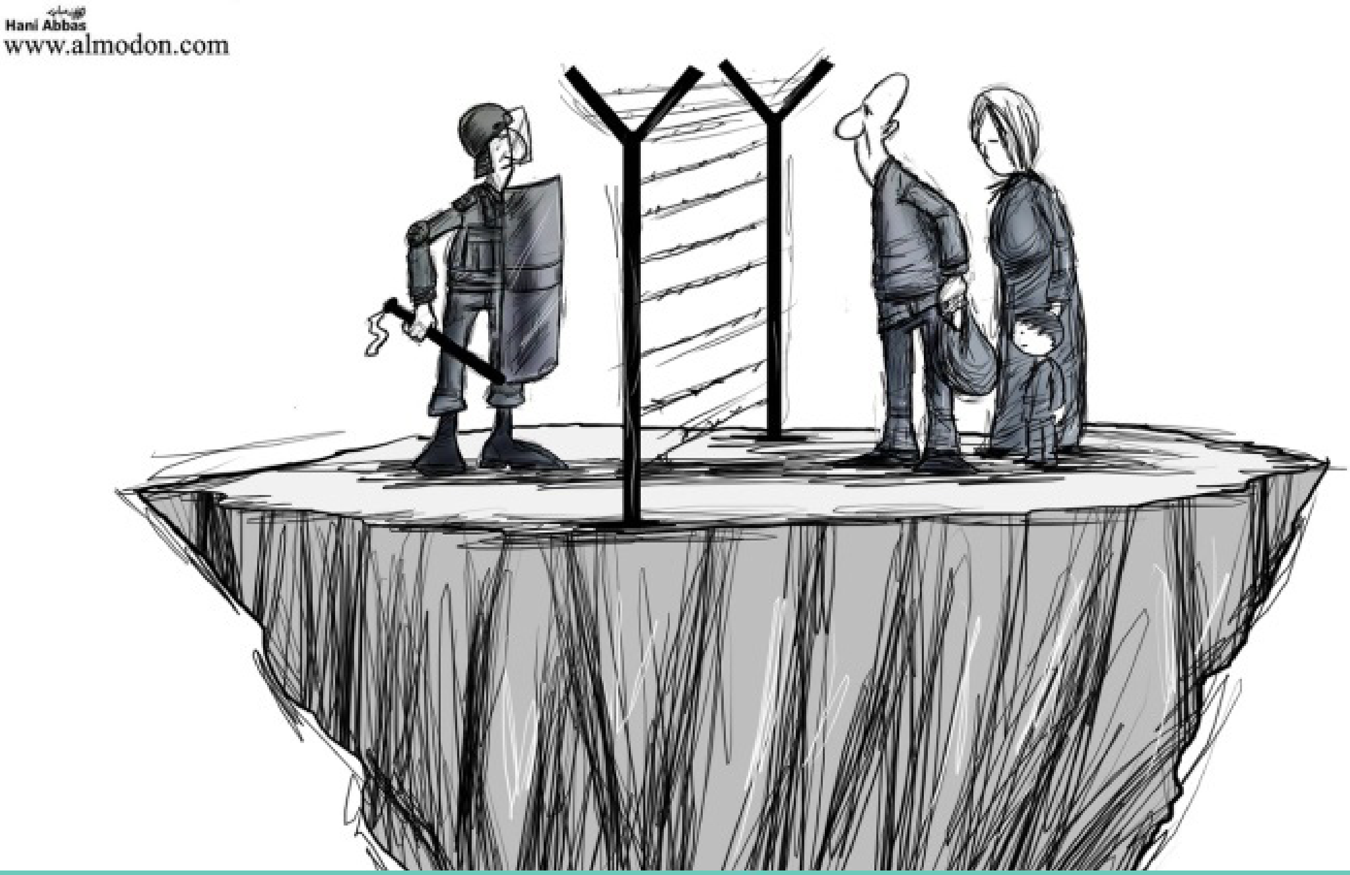
Hani Abbas
www.almodon.com